

الدعوة للطاعة

البحث عن القاع

أولاً، فلنلاحظ ما هو واضح. كل شيء له قاع باستثناء الثالوث القدوس. وأقصد بكلمة "قاع" أن لكل شيء بداية وأساس وقاعدة بُني عليها. ثانيًا، قاع الشيء مخفي عمومًا. وغالبًا ما تضيع بدايته في بحر النسيان. ومن الطبيعي أن البحث عن قاع شيء ما ليس رياضة شائعة. بدلاً من ذلك، فإننا نحب أن ننظر إلى الأشياء التي تتلأأ، أو إلى الأشياء التي تقف شامخة وقوية، أو الأشياء التي تمنحنا إشباعًا فورياً أو سريعًا.

لكن يسوع كان "إنسانًا يهتم بالقاع". كان يتبهر بالقيعان؛ ويحب القاع. كان يركز عن القيعان وعن بدايات كل شيء. وينعكس اهتمامه بالأمر الموجودة في الأسفل في كلماته التالية: "كُلُّ مَنْ يَأْتِي إِلَيَّ وَيَسْمَعُ كَلَامِي وَيَعْمَلُ بِهِ أَرِيكُمْ مَنْ يُشْبَهُ بِشِبْهِ إِنْسَانًا بَنَى بَيْتًا، وَحَفَرَ وَوَضَعَ الْأَسَاسَ عَلَى الصَّخْرِ. فَلَمَّا حَدَثَ سَيْلٌ صَدَمَ النَّهْرُ ذَلِكَ الْبَيْتَ، فَلَمْ يَقْدِرْ أَنْ يُزْعِرْهُ، لِأَنَّهُ كَانَ مُؤَسَّسًا عَلَى الصَّخْرِ" (لوقا ٦: ٤٧، ٤٨).

ويظهر اهتمام الرب يسوع بالأشياء التي في القاع في إجابته على السؤال: "كيف سنعيش إذًا؟" فهو يعطينا الإجابة في العظة على الجبل. فيجعل التطويبة الأولى أساسًا لكل شيء آخر يقوله: "طُوبَى لِلْمَسَاكِينِ بِالرُّوحِ، لِأَنَّ لَهُمْ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ" (متى ٥: ٣). بعبارة أخرى، ينبغي أن تمر بكونك مسكينًا بالروح لتتم بقية العظة على الجبل. حقًا، هذا يجعل العظة على الجبل تبدو كأنها هرم مقلوب. نعم، طُوبَى لِلْمَسَاكِينِ بِالرُّوحِ (التواضع) هو أساس المعيشة والنمو والازدهار في ملكوته. بدون المسكنة بالروح (التواضع)، تكون كل الصفات الأخرى للموعظة على الجبل بعيدة المنال. وفيما يلي ثلاثة مقتطفات من كتاب العبادة اليومية، الثبات في المسيح، حول موضوع التواضع، الذي بدوره لن تنجح المسيحية.

التواضع: مفتاح النهضة:

"يُقَاوِمُ اللَّهُ الْمُسْتَكْبِرِينَ، وَأَمَّا الْمُتَوَاضِعُونَ فَيُعْطِيهِمْ نِعْمَةً" (يعقوب ٤: ٦). تخبرنا هذه الآية بما يؤيده الله وما يقاومه. وتخبرنا بمن يمكن الله أن يعمل من خلاله، ومن لا يمكن أن يعمل من خلاله. تكشف لنا هذه الآية من الذي يعطيه الله الكرامة ومن الذي يعطيه الهوان.

ولأن الله ضد المتكبرين، فلن تجد الروح القدس أبدًا في أي شخص متكبر القلب. وبالمثل، فإن عمل الروح القدس يُعاق في أية كنيسة تتفاخر بإنجازاتها أو نموها أو عقيدتها أو مذهبها أو رسالتها أو برامجها التعليمية. قد تدعو الكنيسة أفضل مبشر وأفضل موسيقيين لإقامة اجتماعات للنهضة، وقد تخطط كل شيء حسب أعلى مستوى من التميز، لكن الكبرياء يمنع النهضة. الكبرياء تمنع دائمًا النهضة الحقيقية. الكبرياء في وسط كل هذا التميز، يشبه وجود ذبابة في كوب من الحليب، مما يجعله غير صالح للشرب.

حقًا، كم نحتاج إلى الاغتسال بمعمودية التواضع. كم نحتاج إلى أن نلبس مئزرة التواضع كما فعل الرب يسوع عندما غسل أقدام التلاميذ. يفتخر الناس بالإنجازات الدينية وسلالاتهم وتراثهم والقوة الجسدية والعمل الصالح. ينبغي ألا نفتخر بأي شيء، لأنه "قَبْلَ الْكَسْرِ الْكِبْرِيَاءُ، وَقَبْلَ السُّقُوطِ تَسَاخُحٌ" (أمثال ١٦: ١٨). وقال بولس: "لِكَيْ لَا يَفْتَخِرَ كُلُّ ذِي جَسَدٍ أَمَامَهُ" (كورنثوس الأولى ١: ٢٩). فلنتزل متضعًا، وستجد الرب يساعدك في كل وقت وفي كل شيء.

التواضع: لباس التميز:

مرة أخرى ، قال بطرس: "وَتَسْرَبُلُوا بِالتَّوَّاضِعِ" (بطرس الأولى ٥: ٥). وهذا يعني أن نكون ودعاء. يجب أن نعطي الله كل المجد. كما يجب أن ندرك أن أي صلاح لدينا أو نفعه هو بنعمة الله.

أولئك الذين يلبسون التواضع ينالون نعمة الله وقوته وبركاته. لديهم القوة ليفعلوا ما يريد الله منهم أن يفعلوه. إنهم الأشخاص الذين يعمل الله من خلالهم لتحقيق مقاصده الأبدية.

لا يمكن أن تتمسك يد الكبرياء بعطايا الله. يد الكبرياء ضعيفة، وهذا هو سبب الهلاك أينما وجد الكبرياء. لا يمكن للمتكبر أن يتمسك بإعلانات الله. كما لا يمكنه التمسك بالصلاة والتحمل. لقد فشل في جثسيماني الحياة.

كان يوسف رجلاً شديداً التواضع. وبسبب تواضعه تمكن من التمسك بالرب وبأحلام الرب وإعلاناته. وفي النهاية، أحضر هذا التواضع يوسف إلى مكانة مرموقة عند فرعون وإخوته الذين كانوا قد احتقروه من قبل.

إن قوة الله مع المتواضعين. وبركاته مع المتواضعين. وحكمة الله مع المتواضعين. لطف الله مع المتواضعين. ورحمة الله ولطفه مع المتواضعين. وتوجد إعلانات الله في قلوب المتواضعين، ويد المتواضعين هي في الواقع يد الله. تسربل بالتواضع، لأنه هو بالحقيقة ثوب التميز.

التواضع: زينة النعمة:

"تَوَّابُ التَّوَّاضِعِ وَمَخَافَةِ الرَّبِّ هُوَ غِنَى وَكَرَامَةٌ وَحَيَاةٌ" (أمثال ٢٢: ٤). التواضع هو الطريق إلى كل ما أعده الله لنا قبل تأسيس العالم. لن يفشل التواضع أبداً. التواضع ليس خاسراً. يمكن ركل التواضع وطرحه وإساءة معاملته وقذفه وإطلاق النار عليه واتهامه زوراً والبصق عليه والضغط عليه وتقبه وصلبه ودفنه. كل هذا يمكن أن يحدث، لكن التواضع لن يموت أبداً. إنه غير قابل للهلاك. في كل مرة، سيقوم ليواصل رحلته من حيث توقف.

أخذ التواضع يوسف من البئر إلى القصر. وحوّل موسى من مسؤول بلاط متعجرف إلى أكثر الناس حلماً ووداعة على وجه الأرض. وأخذ الرب يسوع من عرش مجده إلى أعماق أعماق العبودية. كذلك أخذ بولس من صفوف البر الذاتي للفريسيين ليصبح المهندس الرئيسي لعلم اللاهوت المسيحي.

التواضع لا يخوض معارك، لكنه ينتصر في كل الحروب. التواضع لا يدافع عن نفسه، لكنه لا يُهزم أبداً. التواضع لا يبحث عن شيء لنفسه، لكنه يمتلك كل ما يحتاج إليه. يستقر التواضع عند قدم الصليب، لكنه يمس الكون كله. إن التواضع في قلوب الناس هو ما يجعل الملائكة تتعجب ويبتسم الله. يستمد التواضع النعمة والاحتمال والمغفرة من عرش الله بالصلاة ويحولها إلى التشبه بالمسيح. نعم، التواضع هو ثوب الامتياز، ولكنه أيضاً زينة النعمة.

باختصار، عندما نبتعد عن التواضع، فإننا نفقد أساسنا المسيحي، حيث يحذرنا الرب يسوع من أن البيت الذي بدون أساس يسقط بسبب عواصف الحياة، ويكون "خَرَابُ ذَلِكَ الْبَيْتِ عَظِيمًا" (لوقا ٦: ٤٩). افرح بالتواضع، وتمسك بأن تكون مسكيناً بالروح، وستزدهر في كل ظروف حياتك. لمزيد من المقالات، قم بزيارة موقع الويب الجديد الخاص بي:

www.joyfulabiding.com

لمزيد من مقالات القس اسشولتيز قم بزياره لموقعنا www.schultze.org

Reimar A.C. Schultze PO Box 299 Kokomo, Indiana 46903 USA